الاتجاهات النظرية الكلاسيكية والمعاصرة في دراسة الخلافات الاسرية

اعداد

بدرية مناحي غزاي المطيري

باحثة ماجستير

قسم الاجتماع، كلية الآداب،جامعة بني سويف

اشراف

أ.م.د حوتة حسين

المستخلص

تعتبر الاتجاهات النظرية في سياق العلم الاجتماعي هي المرشد لتحديد معالم أية ظاهرة يتم دراستها. اخذت الاسرة جانبا هاما من النظرية السوسيولوجية وشكلت قضية تتعدد فيها المداخل النظرية . وقد رأت الباحثة ان انسب النظريات السوسيولوجية يمكن ان تفسر حقيقة الخلافات الاسرية هي: النظرية الوظيفية ، المدخل الصراعي النسوي، نظرية التبادل الاجتماعي ، نظرية التفاعلية الرمزية ،الاتجاه التطوري التنموي، الاتجاه التفكيكي ،واخيرا الاتجاهات الحديثة في فهم الخلافات الاسرية . ويعد العرض لهذه المداخل ومدي تركيزها علي النظرة الخاصة للخلافات الاسرية أولا دليل علي ربط هذه الآراء بالسياق الاجتماعي والثقافي وثانيا توضح ان الخلافات الاسرية ظاهرة اجتماعية بكل المقاييس ، لأنها مظهر من مظاهر التفكك الاسري الذي يعد بعدا سلوكيا واجتماعيا ، وان كانت ظاهرة ضرورية تؤدي وظيفة اجتماعية تدفع مؤسسات المجتمع الي اليقظة والانتباه الا ان في حالة زيادتها ستؤدي الي اثار سلبية اجتماعية ونفسية علي الزوجين والابناء والمجتمع .

Abstract

Theoretical trends in the context of social science are the guide to determining the parameters of any phenomenon studied. The family took an important aspect of sociological theory and formed an issue with many theoretical approaches. The researcher considered that the most appropriate sociological theories can explain the fact of the family differences are: functional theory, feminist approach, social exchange theory, symbolic interactive theory, evolutionary developmental trend, deconstructionist trend and finally recent trends in understanding family differences. The presentation of these entries and the extent of their focus on the view of the family differences first evidence of linking these views to the social and cultural context and secondly illustrate that family differences are a social phenomenon by all standards, because it is a manifestation of family disintegration, which is considered a behavioral dimension and social, Community institutions to vigilance and attention, but in the case of increased will lead to negative social and psychological effects on spouses and children and society.

مقدمة

تعد الاتجاهات النظرية في سياق العلم الاجتماعي هي المرشد لتحديد معالم أية ظاهرة يتم دراستها. اخذت الاسرة جانبا هاما من النظرية السوسيولوجية وشكلت قضية تتعدد فيها المداخل النظرية . وقد رأت الباحثة ان انسب النظريات السوسيولوجية يمكن ان تفسر حقيقة الخلافات الاسرية هي: النظرية الوظيفية ، المدخل الصراعي النسوي، نظرية التبادل الاجتماعي ، نظرية التفاعلية الرمزية ،الاتجاه التطوري التنموي، الاتجاه التفكيكي ،واخيرا الاتجاهات الحديثة في فهم الخلافات الاسرية ،وفيما يلي عرض لهذه الاتجاهات:-

1- النظرية الوظيفية:

يعد الاتجاه البنائي الوظيفي أحد الاتجاهات الرئيسة في علم الاجتماع المعاصر وقد اهتم الاتجاه بدراسة الظواهر الاجتماعية في أعمال المؤسسين الأوائل لعلم الاجتماع من أمثال ابن خلدون – أوجست كونت ثم ظهر بوضوح في أعمال "دوركايم" و"باريتو" و"بارسونز" و"ميرتون" . لقد استمدت جذورها الفكرية من الاتجاه الوظيفي في علم النفس وخاصة النظرية الجشطالتية التي تركز علي العلاقة بين الكل واجزائه ،وكذلك من الوظيفية الانثربولوجية كما تبدو في اعمال بعض الانثربولوجيون مثل مالينوفسكي.([1])

يرى أنصار هذه النظرية أن لكل فرد في المجتمع مجموعة من الاحتياجات الغريزية والاجتماعية والعاطفية التي يسعى إلى إشباعها ويحاول كل مجتمع إشباعها هذه الاحتياجات عن طريق النظم الاجتماعية المختلفة واستمرار أي نظام مرهون بالوظائف يؤدي لإشباع هذه الحاجات ، وإذا فقد هذا الجزء وظيفته انتهى الزوال ، فإذا لم يستطيع الزواج تحقيق الأهداف التي يسعى إليها الأفراد مثل : تحقيق الاستقرار العاطفي والوجداني وا لإنجاب والإشباع الجنس والحصول على الاستقرار الاجتماعي . فأن أحد الزوجين أو كليهما سيقرران الانفصال وأنهاء الزواج .

ويرى أنصار الاتجاه الوظيفي أن اختلاف التنظيم الاجتماعي وغياب التماسك الاجتماعي بين أفراد المجتمع الواحد الذين تجمعهم أهداف مشتركة قد يقود في الغالب إلى اضطراب وظائف المجتمع ، وإلى حالة من التفكك الاجتماعي ، التي تؤدي بدورها إلى فقدان المعايير والقواعد الاجتماعية مما يعرض المجتمع إلى الحالة الأنومي أي اللامعيارية وهي الحالة التي تفقد المعايير الاجتماعية السائدة في مجتمع ما ، فعاليتها في ضبط سير الأفراد وتنظيم سلوكهم لتحقيق القدر المطلوب من التوافق الاجتماعي.

[1] طلعت لطفي وكمال الزيات ، النظرية الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص 67 .

ينظر الاتجاه الوظيفي إلي الأسرة علي أنها جزء أساسي من كيان المجتمع، وتشكل نسقاً فرعياً من نسق عام هو المجتمع. وتتكون بدورها من عدة أنساق فرعية ترتبط فيما بينها بعلاقات تفاعلية متبادلة . ويركز الاتجاه الوظيفي علي الاهتمام بالعلاقات الداخلية للنسق العائلي، وعلاقة النسق الأسري بالأنساق الاجتماعية الأخرى. ويعد "بارسونز" من أبرز ممثلي الاتجاه الوظيفي[1] ، حيث تناول أسرة من خلال معياري القرابة ، والحب الرومانسي والجاذبية العاطفية ، وقد أكد علي أن انعزال الأسرة الرقابية جغرافيا وبنائياً عن الرباط القرابي يحل محله الجاذبية العاطفية ، وتضعف الصراعات الزوجية ، كما يضيف "بارسونز" أن الرباط الرومانسي لا يقتصر علي الجاذبية العاطفية فحسب ، بل علي عامل الدخل والموقع المهني والاعتبار الاجتماعي ونمط المعيشة .

وحلل دوركايم الخلافات الاسرية في معرض مفهومه عن الانومي ، وخاصة الانتحار الانومي الناتج عن عجز التنظيم الاجتماعي عن تلبية طموحات افراده. في هذا الصدد، ناقش دوركايم الانومي الاقتصادي ،الناشئ عن فترات الرخاء الاقتصادي ،والانومي الزواجي الجنسي conjugal or sexual anomie بسبب انتشار الطلاق. في كلا الحالتين، فرصة احتمال وجود الرغبة ،او عدم الرغبة متساويتان في الدرجة ،مما يدفع الي الاحباط .ربما الانومي الناتج يسبب ازمة حادة ، لكن يهتم دوركايم تحديدا بالانومي المؤسسي الدائم . لان هذا النمط من الانومي ،يعبر عن رغبة مرضية لاحد لها ،ولا يمكن تحاشيه في المجتمع الصناعي الحديث ،لأنه يمارس بالتزامن مع نظامه القيمي ، اي المعتقدات الثابتة عن التقدم، وتنظيماته ، اي ،قوانين الطلاق ، ووظيفته ، اي المنافسة في السوق[(2)] .

ويمكن تفسير الخلافات الزوجية من واقع هذه النظرية علي اساس رؤية الاسرة او النسق الاسري كنسق من انساق المجتمع الذي يتأثر بحجم ونمط التغير الذي يمر به المجتمع والأنساق الاجتماعية للأفراد ،فالتغير في انساق المجتمع الأخرى تؤثر علي النسق الاسري مما يحدث المشكلات الاسرية داخله . كما يمكن الاشارة الي ان التغير في انماط التفاعلات الداخلية في النسق الاسري يؤدي الي حدوث الخلافات الاسرية التي تتطلب في النسق الاسري اعادة التوازن داخله لإحداث منظومة متكاملة من التفاعلات التي تؤدي الي في النهاية الي استقرار النسق الاسري داخل منظومة النسق الاكبر الممثل لانساق المجتمع المختلفة.

---

[1] جي روشيه ، علم الاجتماع الامريكي : دراسة لأعمال تالكوت بارسونز، ترجمة محمد الجوهري واحمد زايد ، (القاهرة: دار المعارف ، 1981)، ص86-87 .

[2] P. Bernard, Anomie, in: Neil J. Smelser and others, eds, International Encyclopedia of the Social & Behavioral Sciences,(N.y: Elsevier Science Ltd,2001),p.511.

وسوف اشرح دور النظرية الوظيفية في فهم الخلافات الزوجية من خلال استقرار الدور الاجتماعي لكل الزوجين في مؤسسة الزواج علي النحو الذي قاله "ابو جادو" في كتابة" سيكولوجية التنشئة الاجتماعية"([1]) كالتالي :

1- نظام الدور

يري بارسونز ان الدور هو افعال الشخص اثناء علاقاته مع الاخرين ضمن النظام الاجتماعي ، وان تقسيم العمل في النظام الاجتماعي ادي الي تعدد الادوار وتباينها ،وتكون كل مجموعة من هذه الادوار المتخصصة المترابطة نظاما معينا في البناء الاجتماعي ، وتكون هذه الادوار مرتبطة وظيفيا وذات اهداف مشتركة [2] .

2- لعب الدور

هو مجموعة السلوكيات او النشاطات المحددة التي ينتظر من الفرد القيام بها في موقف معين . وقد اختلف العلماء حول طبيعة اداء الدور ولعبه ، من يري ان لعب الدور هو من طبيعة نفسية ،وعلي هذا الاساس يختلف الافراد في ادائهم لا دوارهم المتشابهة نظرا لاختلاف سماتهم ،وقدراتهم الشخصية في حين يري اخرون ان اداء الدور ذو طبيعة اجتماعية ،وهذا يعني ان اداء الدور ظاهرة اجتماعية مرتبطة بالمكانة الاجتماعية التي يشغلها الفرد في البناء الاجتماعي . ويري اخرون ومنهم بارسونز ان اداء الدور في اطار الموقف الاجتماعي ما هو الا استجابة الفرد لتوقعات الاخرين وتحقيقا للمعايير الاجتماعية . وبذلك تتضح ان اداء الدور هو محصلة التفاعل بين العوامل الاجتماعية والعوامل النفسية في المواقف الاجتماعية ، لان الاستمرار الوظيفي لاي نظام اجتماعي، يعتمد علي الاداء المناسب والنظم للأدوار الاجتماعية .

3- توقعات الدور

يتحدد اداء الفرد لدوره قيم ومعايير المجتمع المتوحدة مع شخصيته ،وكذلك نحدده القدرات الفردية ، ويكون اداء الفرد نتاجا لعملية التنشئة الاجتماعية والتعلم ، حيث يؤدي هذه العملية الاجتماعية الي تعريف الفرد بالتوقعات المنتظرة منه لكل دور سيقوم به والتدريب عليها ، فيتعلم الفرد السلوك المنظر منه بالنسبة للأخرين ،كما يتعلم القواعد التي تحدد هذا السلوك ،وكيف يستجيب ويتفاعل مع آرائهم . وتشكل هذه التوقعات التي ينشا عليها الشخص سلوكه في المواقف الاجتماعية المختلفة ،فيتعلم كيف يقدر المواقف ،وكيف يؤدي الادوار المتوقعة منه حسب المكانة التي يشغلها . ويؤدي استقرار نظام التفاعل بين الفرد والاخرين الي تكوين

---

[1] صالح محمد ابو جادو ، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية ، (عمان : دار المسيرة ، 1998)، ص 185 .

[2] Tony Bilton, An Introductory Sociology, (N.Y: Macmillan, 1996), p.90-91.

توقعات واضحة السلوك المرتبطة بالأدوار في حين يؤدي عدم الاستقرار الي غموض وتعارض او الي تناقض هذه التوقعات .

4- محددات الدور

يتألف البناء الاجتماعي من مجموعة من المراكز الاجتماعية الت يتطلب ادوار محددة وهذه المراكز تمثل مواقع خاصة في سلم البناء الاجتماعي وان كل بناء اجتماعي لابد له من مضمون عام هو الثقافة بمعناها الواسع ، حيث تعمل علي توجيه سلوك الفرد، وتقوم في الوقت نفسه بتحديد دوره . وهناك مجموعة من المحددات لسلوك الفرد واهمها :

*** الادراك المشترك للمكانة التي يشغلها الفرد في البناء الاجتماعي**

*** ما يحمله افراد الجماعة من توقعات بالنسبة لسلوك الاشخاص الذين يشغلون مراكز معينة في البناء الاجتماعي او النظام الاجتماعي**

*** المعايير والقيم الاجتماعية وهي عبارة عن توقعات مشتركة يتقاسمها افراد المجتمع والنظام الواحد 5- صراع وغموض الدور**

ويعني غموض الدور عدم الاعتراف بموقع ومكانة هذه الادوار علي خريطة العلاقات الاجتماعية، وعدم تحديد مدي قبولها ورفضها من المجتمع . اما صراع الدور يظهر في المواقف التي يدرك فيها شاغل الدور وجود توقعات متعارضة بينه وبين المشاركين معه في نفس الدور. ونتيجة لذلك فان الزوج او الزوجة قد يشعران بتداخل وصراع في الادوار المختلفة اللذان يقومان بهما مثلا الزوجة كربة بيت او موظفة او عضوه في جماعة اجتماعية وهذا التداخل يؤثر علي اداء ادوارها الاجتماعية نتيجة لاختلاف توقعات الانساق المختلفة المنتمية اليها .

أمّا بخصوص وظائف الأسرة فيرى بارسونزأيضًا ان استقرارها في هذا الشّأن مؤكّد كذلك الحال بالنسبة للتكيّف الاجتماعي فالأسرة تعمل على نقل القيم والقواعد المقبولة وأنماط السّلوك القائمة، كما تتضمن تكيف الفرد لمطالب المجتمع والتآلف داخل الأسرة بان يعملوا على الحفاظ على الأسرة والمجتمع. فالأسرة بالنسبة لبارسونز هي بمثابة نظام تندمج فيه نظم فرعيّة لا يتسنى فهمها دون الرّجوع إلى النظام الشامل باعتبارها نظامًا فرعيا معرضة من ناحية التغيرات التي تطرا علي المجتمع الكبير فالتأثيرات التي تحدث في الأسرة وردود الأفعال هي انعكاسات للظّروف الجديدة والقيم الثقافيّة الجديدة . هذه القواعد قد تنشأ في تاريخ النّظام الفرعي وتعكس قيمًا تقليدية، أو على الأقل تؤخّر نتائج التغيرات في البيئة الاشتراطية ،غير

ان عالم الثقافية له ديناميكية الخاصة وفي توسيع الآراء ووجهات النظر الجديدة بان تعجل هذه التغيرات وتعدلها[1].

على الرّغم من أهمية هذه النظرية خاصة لما قدمته لموضوع دراستي الحاليّة إلا أنّها بالغت في تصوّرها النظري للأسرة بأنّها متماسكة ومترابطة، كما أنّه من الصّعب تحديد وظائف الأسرة خاصة في المجتمعات الحديثة، فمثلاً الوظيفة التعليمية لم تعد وظيفة الأسرة فقط، بل أصبح يشارك بها العديد من المؤسسات التربوية، كالمدرسة، المسجد، رياض الأطفال، وغيرها، هذا وكأيّ نظام تعترض الأسرة عدة تغيرات كغيرها من الأنظمة الأخرى، ففكرة الاستقرار والثّبات للأسرة التي ركز عليها أنصار هذه النظرية لا يمكن الأخذ بها وخاصة في ظلّ التطوّرات الحاصلة والتي مسّت مختلف مؤسسات المجتمع بما فيها مؤسسة الأسرة.

2- المدخل الصراعي والنسوي

تعتبر هذه النظرية من النظريات الاجتماعية التي اهتمت بد راسة الأسرة إذ حاول علماؤها تطبيق مبادئهم في دراسة الزّواج والأسرة، لذا وجّه أنصار هذه النظرية اهتمامهم للكشف عن كيفية استغلال الأفراد داخل الأسرة قوّتهم في سبيل تحقيق أهدافهم وغاياتهم، لكنهم لم يعتبروا العلاقات الأسرية كنوع من الصراع الطبقي، حيث الرّجل يمثل الطبقة الحاكمة، والمرأة تمثل الطبقة المحكومة ولكنهم حاولوا معرفة كيف يحاول كل فرد من أفراد الأسرة استغلال إمكانياته المتاحة للوصول إلى غاياته[2].

ان نظام الاسرة في راي هذا الاتجاه وجد في المجتمع استجابة لاعتبارات رأسمالية بحتة قوامها المحافظة علي استمرار وسيطرة الافراد علي الملكية . وعلي ذلك يشير ماركس في كتاباته المبكرة الي الزواج علي انه شكل من اشكال الملكية الخاصة . وان هذا الاتجاه يري ان الخلافات الاسرية بين اعضائها امر طبيعي ونتاج لعدم المساواة في الحقوق والواجبات . كما ان هذا الاتجاه لا ينظر الي الخلافات والمشاجرات الاسرية علي انها تقوض كيان الاسرة، بل لها ايجابيات تعود علي بنيتها . ان هذا الاتجاه يركز علي المصادر الاساسية (المال والسلطة

[1] محمد أحمد، محمد بيومي، وعفاف عبد العليم ناصر، علم الاجتماع العائلي، دراسة المتغيرات في الأسرة العربية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ، 2003 ، ص ص72 ،71

[2] سلوى عبد الحميد الخطيب، نظرة في علم الإجتماع الأسري، القاهرة :المصرية لخدمات الطباعة، 2007 ص 94.

والثروة والمنافسة)والتي تمثل المصدر الرئيسي لوقوع الخلافات الاسرية ،ويري هذا الاتجاه ان الاتفاق والانسجام ما هو الا وسيلة للتحكم في عملية الصراع داخل الاسرة[1] .

لم ينظر الماركسيون للأسرة علي أنها واحدة من السمات العامة للمجتمع الإنساني ولكنهم نظروا إليها في سياق تحليلهم لطبيعة المجتمع الرأسمالي وما يتميز به من طبقية . ونقطة انطلاق معظم تحليلات ممثلي هذا الاتجاه عن الأسرة والعلاقات بين الجنسين نجدها في كتاب " أصل الأسرة :الملكية الخاصة والدولة " لإنجلز الذي يفرق فيه بين تحقيق المساواة بين الجنسين في المرحلة الحديثة حيث يري إنجلز أن النزعات والخلافات الأسرية بين الزوجة والزوج والأب والأبناء ، والأبناء وبعضهم أمر طبيعي ناتج عن عدم المساواة في الحقوق والواجبات ومن هذه الرؤية أطلق تعميمه المشهور بأنه لا توجد أسرة خالية من النزاعات والخلافات الأسرية وحتى إذا حدث فترة غابت فيها المشاحنات الأسرية فإن ذلك لا يعبر عن سعادة و هناء الأسرة بل أنها حالة طارئة ومؤقتة تعقبها مشاحنات قادمة([2]).

وذهب بعض مفكري هذا الاتجاه إلى أن الأسرة هي أول مدرسة يختبرها الفرد في حياته الاجتماعية من خلال سيطرة الرجل على المرأة في النظام الأسري ، إلى أن الزواج يمثل تجوزا راقيا للعداوات التي ظهرت في التاريخ . حيث أن نمو مجموعة معينة و ازدهارها قد يتم على حساب مأساة واضطهاد مجموعة أخرى ، أن العلاقة بين الزوج والزوجة هي مثال نموذجي لما يحدث لاحقا من اضطهاد بين الطبقة الرأسمالية والطبقة العمالية. أن نظام الأسرة في رأي هذا لاتجاه وجد في المجتمع استجابة لاعتبارات رأسمالية بحتة قوامها المحافظة علي استمرار سيطرة الأفراد علي الملكية . وعلي ذلك يشير ماركس في كتاباته المبكرة إلي الزواج علي أنه شكل من أشكال الملكية الخاصة([3]) .

ومن بين التفسيرات المعاصرة للخلافات الاسرية وفقا لمنظور الصراع ، ما قدمه مايكل هارجيس واخرون عن التوقعات في مجالين (العمل او الاسرة) يمكن ان تتعارض التوقعات فيهما بسبب المعايير والالتزامات المختلفة . لهذا السبب الاداء في مجال واحد للحياة (اي العمل) يقلل من مقدار الوقت الطاقة ،والموارد الأخرى المتاحة للمجالات الأخرى (مثل الاسرة).

---

[1] عزت سيد اسماعيل ، الاسرة في القرن الحادي والعشرين، سلسلة الدراسات الاجتماعية العمالية، السلسلة رقم 28، ابوظبي: مجلس التعاون الخليجي، 1993، ص 158 .

[2] معن خليل عمر : علم اجتماع الأسرة، بيروت ، الطبعة الأولي ، دار الشروق ،1994 ، ص 44 .

[3] W. K., Halford, Bouma, R., Kelly, A., &. Young, R. M.. Individual Psychopathology and Marital Distress: Analyzing the Association and Implications for Therapy Behavior Modification, 23 (2), (1999) p.179

وعلي هذا يعرف الخلافات الأسرية بأنها شكل من الصراع حيث ضغوط الدور من العمل والمجالات الاسرية تتبادل بشكل غير متكافئ انتاج مزيد من الخلافات. [1]

ويري المدخل النسوي ان علاج المشكلات الاسرية عند المدخل الوظيفي علاجا مثاليا وغير كافي. يركز علي المشكلات الاسرية باعتبارها تعبير عن علاقات طبقية في الاقتصاديات الرأسمالية ،مثلما يحدث في مجتمع المصنع . يسيطر الرجل علي المرأة في المنزل ، كما تسيطر البرجوازية علي البرولتياريا في المصانع . لذا فان كثير من المشكلات تلتصق بالحاجات الاساسية من توفير الدخل المناسب ،الملابس، الطعام ،المساندة العاطفية. تعتقد كثير من النسويات في هيمنة الرجل وخضوع المرأة قبل وجود الرأسمالية ، والملكية الخاصة ،وكان هذه العلاقة نظام اقتصادي في ذاته [(2)] . تري نظرية الصراع في ان المشكلات الاسرية نتيجة لأفكار متعارضة عن القيم ،الادوار واشكال الحياة الاسرية . من جانب نظرية الصراع تتجسد الافكار المتعارضة في البناء الاسري التقليدي المساند للفرد في المجتمع المعاصر ،وعلي الجانب الاخر الليبرالي يعتقد بضرورة وجود اشكال اسرية جديدة .

وتري ان النساء لا الدين يجب ان يكون في قلب النظرية والممارسة حول العالم ، ولعل سعي النساء قد يساعد علي التمكين وان كانت الآمال حول هذا الهدف نظرية . ان مثل هذا السياق يشرح ان حقيقة الخلافات خلافات ثقافية بالدرجة الاولي ،والتي تأخذ شكل الالغاز [3]. وتعود النزاعات والخلافات بين الرجل والمرأة الي طبيعة الخبرات التي يواجهانها بكل منهما ،وهو ما يؤدي الي اختلاف اشكال الاستغلال التي يتعرضان لها . فالسياقات الاجتماعية تفرض اشكالا مختلفة من الاستغلال علي كل من الرجل والمرأة كما تفرض اشكال مختلفة من التحليل للتوصل الي الاسباب المؤدية لهذه التفاوتات . ويعد استغلال النساء القاسم المشترك بين كل النظريات النسوية علي الرغم من اختلاف الاطر النظرية التي تنطلق منها والنتائج التي تنتهي اليها ،والجانب المهم في تلك التحليلات يرجع الي عملية الاستغلال بوصفها مبنية

---

[1] Michael B. Hargis, Lindsey M. Kotrba, Ludmila Zhdanova and Boris B. Baltes, What's Really Important? Examining the Relative Importance of Antecedents to Work–Family Conflict, Journal of Managerial Issues, Vol. 23, No. 4 (Winter 2011), p.388.

ibid.p.243.

[7]

[3] Monica Gallant, The application of feminism in the Arab world: research perspectives, Education, Business and Society: Contemporary Middle Eastern Issues, Vol. 1 Issue 3,2000, p. 193.

اجتماعيا بمعني ان اسبابها متجذرة في الواقع الاجتماعي المحيط بالمرأة وليست خارجية ،كما ترتبط بجملة من العلاقات الاجتماعية السائدة بين الرجل والمرأة[1] .

علاوة علي ذلك، ذهب المدخل النسوي الي ان القوانين لم تعد محايدة لانها تتناسي قناعة الاخر بأهمية الطلاق، وتتبني سياسات تزيد الالتزام علي طرف دون الاخر، فتزداد الخلافات دون ان تعالج بحق، بل ينتظر الكثير من الوقت في المحاكم للحصول علي الطلاق فتزداد الخلافات فتصير اكثر تعقيدا([2]) .

في النهاية ، يرى النهج الصراعي ان الخلافات والنزاعات الأسرية أمر طبيعي ، بل ويرى بأنه لا توجد أسرة خالية من نزاعات وخلافات ، وحتى اذا حصلت فترة تغيب فيها المشاحنات الأسرية فان ذلك لا يعبر عن سعادة وهناء الأسرة بل انها حالة طارئة ومؤقتة تعقبها مشاحنات قادمة .فضلا عن ذلك فان هذا النهج لا ينظر الى النزاعات والخلافات الأسرية على انها تعبر عن سلبيات تقوض كيان الأسرة بل لها ايجابيات تعود على بنيتها وتصفي او تنقي أجوائها من التلوث الذي أصابها لأنها سوف تصرف الاختناقات والمشاحنات التي أحدثتها الظروف القاسية او الصعبة وبالتالي تعيد الأمور الى نصابها وتصحح الأخطاء وتزيل الغموض والإبهام الذي طرأ على حياة الأسرة عبر معايشتها للأحداث الساخنة.

3- نظرية التبادل الاجتماعي

يري عديد من النقاد ان نظرية التبادل الاجتماعيexchange theory او الاختيار العقلاني –يمكن استخدامهما بمعني واحد- هي الانسب في تحليل التبادلات التطوعية في المجتمعات البسيطة التي تكون اقتصاديات المناطق التقليدية وخاصة الاسرة والدين والنوع . تعتبر الاسرة واحدة من الموضوعات البعيدة عن مشاهد نظرية الاختيار العقلاني لانه تنظيم ارثي ينتج دوافع حادة –من الحب والكره- اكثر ما تنتج حسابات نفعية باردة . من هنا يمكن ان تطبق النظرية علي قرارات افراد الاسرة باعتبار الاسرة وحدة لاتخاذ القرار ([3]).

يرى أنصار هذه النظرية أن الأفراد يدخلون مع بعضهم البعض في علاقات تبادلية فهم يتبادلون العواطف والمشاعر والآراء والأفكار والمصالح والأموال وغيرها في تبادلهم هذا هم

---

[1] صالح سليمان عبد العظيم ،النظرية النسوية ودراسة التفاوت ، مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية ،مجلد 4 ،ملحق 1، 2014، ص. 639 .

[2] L. A, kurdeck, Predicting change in marital satisfaction from husbands' and wives' conflict resolution styles. Journal of Marriage and Family, 57 (1), (1995), Pp. 153-155.

[3] Michael Hechter and Satoshi Kanazawa, Sociological Rational Choice Theory, in: Annual Review of Sociology, Vol. 23 (1997), pp. 191

يسعون إلى تحقيق أكبر قدر من الربح بأقل خسائر ممكنة .عندما تتعذر الحياة الزوجية بين الطرفين وتصبح الحياة مليئة بالمشكلات والمشاحنات فإن المرأة تحاول أن تحسب مقدار الخسائر المترتبة من هذا الطلاق ومقدار المكاسب فإذا أحست أن مكاسبها من الطلاق تفوق خسائرها فأنها تتخذ قرار الطلاق والعكس صحيح إذا كانت الخسائر أكثر من المكاسب فإنها ستستمر في حياتها الزوجية ، وأن هذه المكاسب أو الخسائر ليست هنا مادية فقط و أنما هي مادية أو معنوية أو اجتماعية([1]) .

وفقا لنظريات التبادل الاجتماعي عند بلاو وزملاءه ان العلاقات الاسرية مماثلة للعلاقات الاقتصادية حيث يظهر التبادل للسلع من خلال التفاعل في العلاقة الرومانسية .يتبادل الفاعلون علي قدر كبير من الموارد ،بما في ذلك الرفقة ،الحب،الجنس، المال، الحراك الاجتماعي، رعاية المنزل ،رعاية الاطفال . علاوة علي ذلك، التفاوض علي ادوار محدودة من الموارد لكل فاعل بشكل منفصل ،وبدون اتفاق مسبق ، يؤدي الاعمال التي تعين الاخر علي اداء وظيفته بشكل تبادلي معروف .

بما ان هناك ميل قوي نحو الزواج المتجانس homogamy فان بعض الموارد تتبادل بالمثل . يتزوج الناس من نفس الطبقة الاجتماعية ،السلالة، التعليم ، المهنة ،بينما اخرون يتبادلون علي موارد مختلفة ،علي سبيل المثال جاذبية المرأة تبادل ثروة الرجل او مكانته الاجتماعية . علي الرغم من تعلم المرأة ومشاركتها في العمل الا ان هذه التبادلات تظل مرهونة نظريا وعمليا . من منظور التبادل الاجتماعي ،ترتبط الموارد مع القوة بشدة ،بمعني ان القوة علائقية ، لان الموارد تزيد القوة وتقلل من التبعية .

ان مثل هذا النوع من النظريات ينتمي الي النظريات الاقتصادية للفعل او النظريات الاجتماعية والنفسية للتبادل. وتفترض تفسيرات الاختيار العقلاني ان الاساس في الزواج هو الحصتل علي اكبر استفادة من الفعل الزواجي في اختيار شريك الحياة ،لان من المتوقع ان يجني احد الطرفين مكاسب جمة من الشريك الاخر. كما ان تنظيم الوحدة الاسرية اشبه بتنظيم الوحدة الانتاجية للحصول علي اكبر عائد ،واستثمار ما بداخل الاسرة ،وخاصة السلع الاسرية (كالسلوك الانجابي) علاوة علي حساب الخسارة في حالة تصفية العلاقة الزواجية .

وخلصت إلى أن طريقة معالجة الخلافات تتأثر بنوعية العلاقات بين الناس، فالخلافات بين أفراد الأسرة الواحدة يصعب تجنبها وأكثر كلفة –على الأسرة نفسيا واجتماعيا– في حال تجاهلها، بعكس الخلافات التي تنشأ بين الأصدقاء والزملاء وغيرهم، وفي حال عدم توفر

[1] سلوي الخطيب، نظرة في علم الاجتماع الأسري ، الرياض : مكتبة الشقري،2007،ص 211–213 .

المهارات اللازمة لحل الخلافات فإن مشاعر الغضب يمكن أن تؤدي إلى ارتكاب العنف، خاصة إذا أدرك الشخص أن استخدامه للعنف لا يترتب عليه أي عقوبات أو أن العقوبات التي تنتج عن ممارسة العنف تكون أقل إشباعا من تنفيس مشاعر الغضب.

بتطبيق هذه النظرية علي موضوع الدراسة الراهنة ،وهي الخلافات والعلاقات الاسرية .تشير نظرية التبادل بان القوة الاكبر والتبعية الاقل سوف تزيد من ارجحية الحفاظ علي الزواج ،ويعتمد اختبار هذا الفرض تجريبيا علي العلاقة بين الدخل النسبي ،وومقدار الموارد من ناحية والطلاق ،فالاكثر دخلا اقل طلاقا. تتنبا ايضا بان ارجحية ظهور الخلافات نتيجة لحدوث او حضور فرص التبادلات والبدائل مما يجعل من الافراد مساهمين في تصفية الزواج . وطبقت هذه الفرضية بوضوح علي النساء وخاصة عن المكاسب المالية النسبية للمراة واحتمالية الدخول في خلافات اسرية نتيجة لأثر او عامل الاستقلال ولاسيما اذا زاد دخلها عن زوجها فيقل مكاسب الزواج لها والعكس صحيح . يعني ان النساء ذو الدخل المرتفع يعتقد ان يحسن مستوي التبادل مع ازواجهن وخاصة الاقل دخل منهن ([1]) .

لقد استخدمت هذه النظرية في الدراسات العائلية حيث أفكار هذه النظرية ومفاهيمها الرئيسة قد استعملت من قبل الباحثين في تفسير وفي التنبؤ بميدان واسع من أنماط السلوك الاجتماعي. وقام حديثاً العديد من الباحثين باستخدام مفاهيم نظرية التبادل في تفسير العلاقات الزوجية والعائلية، وقد وفرت هذه النظرية عدة تفسيرات مفيدة لكيفية بداية العلاقات بين الزوجين، وكيفية اختيار شريك الحياة ويعتقد أتباع هذه النظرية أنّ أفكارهم يمكن استعمالها في تحليل الكثير من جوانب الحياة الزوجية والعائلية الأخرى.

فمثلاً لتفسير حالات الطلاق في العائلة ترى نظرية التبادل أنَّ السبب في الطلاق يرجع إلى خلل في عمليات التبادل وعدم العدالة في توزيع المكافآت أو الفوائد، فإذا شعر أحد الزوجين مثلاً بأنَّه يعطي الكثير للزواج وأنَّ تكاليف هذا العطاء تفوق بكثير الفوائد المتوقعة فإنَّ هذا الطرف قد يقرر إنهاء العلاقة.

4 – نظرية التفاعلية الرمزية

تمتد نظرية التفاعل الرمزي الي اكثر من قرن من الزمان تقريبا ،وهي التفاعل بين الفكر التي حملها المهاجرون الاوربيون الي امريكا ، وبين البيئة الجديدة التي نشلأوا فيها ،وعلي هذا فنظرية التفاعل تبلورت في امريكا علي اثر ازدياد المشكلات الخاصة بالهجرة، والجريمة وجنوح الاحداث والطلاق والنزاعات الاسرية .

---

[1] Christin L. Munsch, Her Support, His Support: Money, Masculinity, and Marital Infidelity, American Sociological Review ,2015, Vol. 80(3), p.471

والتركيز الاساسي للفكرة ينصب علي ان الفرد يعيش في عالم من الرموز والمعارف المحيطة به في كل موقف او تفاعل اجتماعي يتأثر بها ويستخدمها يوميا وباستمرار . ويتضح استخدام الفرد للرموز من خلال معانيها للتعبير عن حاجاته الاجتماعية ، ورغباته الفردية، وتتجلي اهمية الرموز عند استخدامها من قبل افراد المجتمع علي صعيد الممارسة اليومية في الحياة الاجتماعية . حيث يتعلم الفرد من خلال تفاعله مع الاخرين المحيطين به بشكل شعوري او لا شعوري استخدام الرموز في الحياة مثل استخدام اللغة ،او تحريك الراس ، للدلالة علي الرفض او القبول، لبس الخاتم عند الزواج ، ووفقا لهذه النظرية، فان التفاعل الرمزي في الاسرة يشير الي دراسة التفاعل والعلاقات الشخصية بين الزوجين وزوجته واولادهما. [1]

ويركز هذا الاتجاه على دراسة العلاقات بين الزّوج والزّوجة وبين الوالدين والأولاد، فهو ينظر إلي الأسرة على أنّها وحدة من الشّخصيّات المتفاعلة لأنّ الشّخصية في نظر أصحاب هذا الاتجاه ليست كيانًا ثابتًا، بل هي مفهوم دينامي، والأسرة هي شيء معاش ومتغيّر وتام، فاتجاه التّفاعلية الرّمزية يفسّر الأسرة من خلال عمليات التّفاعل، وهذه العمليات تتكوّن من أداء الدوّر، وعلاقات المكانة ومشكلات الاتصال، ومتّخذي القرارات وعمليات التنشئة فالتركيز هنا يكون على الأسرة كعملية وليست كوحدة إستاتيكية[2] .

وعلى ذلك ينظر هذا الاتجاه الى الأسرة على إنها وحدة من الشخصيات المتفاعلة ، ومن هنا فان تكيف الأبوين مع الأحداث المستجدة يؤهلهما لاكتساب دورهما كأبوين ، وان فشل احدهما في هذه المهمة الأسرية يؤدى إلى تصدع بنيان الأسرة ، وكما أن نجاح الزوجين في علاقتهما بالآخر داخل الأسرة مرهون بدرجة إشباع كل منهما للأخر، وعلى ذلك ينظر هذا الاتجاه للأسرة على أنها خلية اجتماعية تقوم بتطبيع الوليد بالسلوك الاجتماعي.

يفترض التفاعليون الرمزيون إن العالم الرمزي والثقافي يختلف باختلاف البيئة اللغوية والعرقية أو حتى الطبقية للأفراد ، وفي ضوء هذه الفرضية يهتم دارسوا الأسرة بطبيعة الاختلاف بين العالم الرمزي للزوج والزوجة وتأثير هذا الاختلاف على تحديد توقعات أدوارهما وعلى مجريات التفاعل بينهما ، وقد أكدت الدراسات في هذا الصدد انه كلما كان العالم الرمزي مختلفا ومتباينا (كما يحدث في الزيجات بين افراد ينتمون الي بيئات لغوية وثقافية مختلفة

---

[1] احمد محمد مبارك الكندري، علم النفس الاسري، (الكويت : مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ، 1992)، ص 55 .

[2] سامية مصطفى الخشاب، النظرية الاجتماعية ود راسة الأسرة، ط1 ، القاهرة : الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ، 2008 ، ص 51.

)اي كلما تبلورت توقعات الادوار بينهما بشكل ضعيف وبطئ ،كلما شهدا تفاعل بينهما ضروبا من التوتر والصراع ويحدث العكس في حالة اشتراك الطرفين في عالم رمزي واحد .([1])

اذن التفاعلية الرمزية في اطار دراسة الخلافات الاسرية تقوم علي فروض عديدة منها:

الفرض الاول ، يجب دراسة الانسان وفقا لمستواه الخاص ،فاذا اردنا ان نفهم الزواج والخلافات الاسرية يجب ان ندرس اللغة والرموز والمعاني والاشارات والانعكاسات اليوم في مؤسسة الاسرة .

الفرض الثاني ، لا يمكن فهم الخلافات الاسرية بدون ان نحلل المجتمع والثقافة الفرعية لكل من الزوج والزوجة .

الفرض الثالث، يعتبر المجتمع والمحيط الاجتماعي هما ما يشكلان نمط السلوك اجتماعيا مقبولا او غير اجتماعيا مرفوض .ويطلق علي هذا التنشئة الاجتماعية.

5- الاتجاه التطوري او التنموي:

ينصب التركيز الاساسي علي اهمية المراحل المختلفة التي تمر بها دورة حياة الاسرة ،والاهتمام بعامل الزمن كبعد هام في فهم التفاعل الزواجي ،تستخدم هذه النظرية عدة افتراضات اساسية :

1- ان الاسرة موضع الدراسة هي الاسرة الزواجية مع وجود اطفال .

2- ان الاسرة والافراد يتغيرون وينمون بطرق مختلفة وفقا لمؤثرات الوسط الاجتماعي.

3- ان التركيز الاساسي علي الافراد من خلال الضغوط التي يتعرضون لها

4- كل اسرة فريدة من نوعها من حيث تركيبها وتوقعاتها الاجتماعية [2].

ينظر هذا الاتجاه إلى الأسرة على أنها وحدة من الشخصيات المتفاعلة، ورغم ذلك لا ينطلق من التفاعل في حد ذاته ، ولا من السلوك المتأثر بالموقف ؛ ولكنه ينطلق من فكرة دوره الحياة للأسرة. واستخدم دورة حياة الأسرة كأداة تحليلية لوصف ومقارنة بناءات ووظائف التفاعل الزواجي في مراحل مختلفة من التطور والنمو بهدف وصف وتفسير بعض الجوانب في الأسرة في كل مرحلة ، بدءا بمرحلة زواج الخطيبين ، وانتهاء بوفاة احدهما أو كليهما. ويرى هذا الاتجاه أن لكل مرحلة تطورية ظروف وشروط تلزم الأسرة القيام بمهام معينة كي تواجه شروط وظروف مرحلة تطورية جديدة ، أو تقبل مرحلة التغير الآتية . وقد وضع هذا الاتجاه ثمانية مراحل تطورية لنمو الأسرة حسب شكل دائري سمي بدورة حياة الأسرة.

---

[1] علياء شكري واخرون ،علم الاجتماع العائلي ،عمان :دار المسيرة ، 2009،ص 34 .

[2] غنيمة يوسف المهيني ، الاسرة والبناء الاجتماعي في المجتمع الكويتي ، الكويت : دار الفلاح للتوزيع والنشر ، 1997) ، ص 101 .

في هذه النظرية يهتم الباحثون بتحديد مراحل الأسرة فهي عند بعضهم تبدأ مع بداية الحياة الزوجية وتنتهي بوفاة الزوجين أو أحدهما ، وهي عند البعض الآخر تبدأ مع إنجاب أول طفل وتنتهي ببلوغ الزوجين مرحلة متقدمة من العمر مع اختلاف هنا وهناك في عدد المراحل ، مهما كان عدد المراحل التي تمر بها دورة حياة الأسرة فأن لكل منها أعباءها الخاصة ومسؤولياتها الخاصة ، ففي بداية حياة الأسرة ترتبط أدوار الزوجين بالتكيف مع الحياة الجديدة ، ثم تظهر فيها بعد إنجاب الأطفال أعباء التنشئة الاجتماعية ، وهي أعباء تقل مع تقدم الأطفال في العمر ، وفي نهاية دورة حياة الأسرة تتحول إلى أسرة توجيه بالنسبة للأسرة الزوجية التي يكونها الأبناء ، ولاشك إن كل هذه الأعباء والأدوار المتغيرة تختلف باختلاف عدد من المتغيرات مثل الإقامة (الريف – الحضر – البادية) والعمل (طبيعة الأنشطة الإنتاجية وغير الإنتاجية التي ينخرط فيها الزوجان) حجم الأسرة ، طبيعة عمل المرأة ، والمستوى التعليمي للزوجين[1]

6- المدخل التفكيكي

نظر المدخل التفكيكي عند فوكوه **Michel Foucault** للخلافات الاسرية من خلال فكرة المفاوضات اثناء الخلافات الاسرية وخاصة مفاوضات الطلاق **Divorce negotiations** او الصراع التنظيمي **Organizational conflict**[2] هناك نقص حاد في الاهتمام ،عند منظري القوة، عن المنطقة الوسط بين الصراع التنظيمي للدولة كممثل للقوة والمواطنين المستهدفين ، لم تدرس بالشكل الكافي .

ناقش فوكوه في الامن ،الاقليم، السكان ،ان الاسرة تحولت من كونها العنصر الاساسي للشكل المماثل الحكومي الي كونها اداة للمجتمع . تؤدي الاسرة لأعضاء المجتمع كل شئ عن السوق الذي لم يقدر علي ايفاء بحاجات اعضاءها ،تراعهم في اعتماد متبادل ،تقدم لهم الجنة في قلب عالم لا يرحم ،وتحافظ علي توهج الحياة الاخلاقية والروحية[3] .

ان الخلافات الاسرية مرتبطة عند فوكوه بطرحه عن كيف يحكم الناس ،وطرق ادارة السلوك داخل المجتمع . فمن خلال مفهوم القوة ،يطرح فوكوه كيف تدير الدولة الخلافات الاسرية وهي القوة الرعوية **Pastoral power** للدولة عن طريق وسائط محلية مثل الادارة

---

[1] المصدر نفسه ، 39 .

[2] W L F, Divorce Lawyers and their Clients: Power and Meaning Sarat, A, Felstiner in the Legal Process. (Oxford, UK, Oxford University Press, 1995) p 23.

[3] JANET HALLEY and KERRY RITTICH, Critical Directions in Comparative Family Law: Genealogies and Contemporary Studies of Family Law Exceptionalism, The American Journal of Comparative Law, Vol. 58, No. 4, (FALL 2010), p.758.

للاستشارات الاسرية في حل المشكلات باعتبارها مرشد داخلي تستجيب له الذوات الطيعة وهم المترددين علي الادارة الاسرية لان الخلافات في هذه الحالة تهديد للنظام الاجتماعي بوجه عام والدولة الكويتية بشكل خاص . هذه النظرة الي تكنولوجيات الضبط داخل المجتمع اشبه باليات البوليسية التي تخفي وراءه سلطة الدولة القانونية لحماية المجتمع حتي ينضبط الايقاع في المجتمع وخاصة عندما لا تنجح المجتمعات المحلية والقواعد غير الرسمية التي تميز المجتمعات الخليجية [1].

7 – الاتجاهات الحديثة في دراسة الخلافات الاسرية

أسهم بعض الباحثين الطليعين في ضبط مفهوم ما بعد الحداثة ويعتبر ليوتار ،اول من اعلن خبر عصر ما بعد الحداثة ، في كتابه الشهير : الظرف مابعد الحداثي : تقرير عن المعرفة .[2] ويشبه السيد يس حركة ما بعد الحداثة بانها عبارة عن فعل رمزي يشير الي سقوط النماذج النظرية التي سادت الفكر الاجتماعي في القرن العشرين نتيجة عجزها عن قراءة العالم وتفسيره والتنبؤ بمستقبله[3] . وفكر مابعد الحداثة تناول موضوع الاسرة والمقومات المؤدية الي تكاملها من خلال بعض التصورات حيث نجد ان كل من "ادجار وجيليزر يتخذون من مفهوم مجري المياه اداة تحليلية لفهم وتفسير التحولات والتغيرات التي تطرا علي بنية الاسرة . وتعتبر نظرة جيليز وزميله نظرة بنيوية تجاه الحياة الاسرية التي تركز علي محورين احدهما تاريخي والاخر تحليلي ،ويعتمد تحليلاتها للتغير في البناء الاسري علي مناقشة التحول في العلاقة الحميمة فيما يتصل بطبيعة المجتمع الحديث ،ويستخدم الباحثان مفهوم مجري الحياة الاسرية للتأكيد علي ان الاسرة هي نتاج من نواتج التركيب الفعلي الذي يتغير معناه عبر الزمان . فمهوم مجري الحياة الاسرية يؤكد في نظرهما التغير التاريخي الذي طرا علي مفهوم الحياة الخاصة متجها الي العقلانية المتزايدة في الاختيار التي تدعم اسس المجتمع ما بعد الحداثة .[4]

---

[1] Argyo Demartoto & Pam Nilan & Alex Broom & John Germov, Indonesian Men's Contrasting Perceptions of How to Deal with Local Violence, Asian Criminology, vol 9, (2014) p.128.

[2] السيد يس ، التغيرات العالمية وحوار الحضارات في عالم متغير، كراسات استراتيجية ،القاهرة: مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية ،العدد 14، مارس 1993، ص 22 .

[3] السيد ياسين ، الوعي التاريخي والثورة الكونية ، حوار الحضارات في عالم متغير، القاهرة : مركز الاهرام ، 1995، ص 152 .

[4] دون ادجار وهلين جليزر ، الاسرة والعلاقات الحميمة : مسارات الحياة الاسرية واعادة بناء الحياة الخاصة، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ، العدد 139، فبراير 1994، ص 163.

ان مفهوم مجري الحياة الاسرية ،يؤكد اهمية التفاوض والتوجيه نحو المستقبل وهو ما يميز الحياة الاسرية الحديثة ،ويعتقدان ان هذا المفهوم يتميز عن المفاهيم السالبة مثل مفهوم دورة الحياة .[1]ويؤكدان علي ان الذي حدث في المجتمع الحديث هو ان مسار الحياة قد اصبح يوما بعد يوم قابلا لاستكمال واعادة التنظيم . اي مجري رسم مسارات الحياة الاسرية وتنظيمها مسبقا.

ويؤكد كل من ادجار وجيليزر علي ان جميع مجتمعات العالم تعيش حالة من التغيرات والتحولات وان جميع المجتمعات شهدت نمو ذجا للتغير الاسري. ويشير الي ان الاطفال يولدون او يعيشيون علي نحو مضطرد معظم فترة طفولتهم داخل اسرة يرعاها احد الابوين فقط سواء بسبب تجنب الزواج في حد ذاته او بسبب الزيادة المفرطة في حالات الطلاق وبالتالي فان نشأتهم الاولي تختلف عن الحالة التي تفترض بينها وبين وجود الابوين[2] .

كما يؤكدان علي ان هناك تحولا جذريا في العلاقات الزوجية ذاتها ،وخاصة العلاقة مع الشريك اكثر من التأكيد علي اداء ادوار معينة داخل مجالات خاصة . كما يؤكدان ان تزايد حالات الطلاق لها تأثيرات علي طبيعة العلاقات الحميمة ،وان ثمة تحولا جذريا يجب دراسته بعناية عندما تناول دراسة التحول في العلاقة الحميمة الا وهو انفصال النساء عن المجال الخاص للحياة الاسرية ويتوازي ذلك مع انفصال الرجال عن تلك الحياة في غضون الثورة الصناعية . كما اكدا علي ان هناك تغيرا مصاحبا للحداثة تمثل في طول متوسط فترة العمر خاصة لدي النساء وهذا الامر يفرض مشكلات فيما يتصل باستمرار اسرة واحدة ملتزمة . ان فكرة العلاقات الحميمة قد استحوذت علي اهتمام عدد ليس بقليل من المفكرين قبل ان يلتفت جيليز وزميله النظر اليها . من بين هؤلاء بيرجر حيث اكد علي ان تداعي المجتمع المدني والاوامر الجماعية قد اضر بنوعية الحياة الشخصية حيث اصبح المجال بلا خصائص مؤسسية في حين ان الحياة العامة اصبحت مؤسسة اكثر مما ينبغي مما ادي الي انغلاق الحياة الشخصية .[3]

ويؤكد اجار وزميله انه يجب البحث عن رؤية اكثر عمقا للحياة الاسرية تنقلنا الي ابعد من التركيز البسيط علي العلاقات الاسرية ، باعتبارها التي يولدها الجنس والطبقة والنظم الاقتصادية المختلفة لصالح النساء والانتقال الي ما وراء البيت وهو امور لها القدرة علي تغير شكل العلاقات الاسرية .[4]

---

[1] المرجع السابق ، ص 162 .

[2] المرجع السابق ، ص 163–164

[3] المرجع السابق ، ص 171.

[4] المرجع السابق ، ص 171–172 .

رؤية جيدنز للنظام الاسري :

في اطار تطويره لنظرية البنية ، قدم جيدنز تصورا جديدا للتكوين الاسري في اطار ما بعد الحداثة ، وهي محاولة للتوصل الي البناء النظري الذي يتدرج من الممارسات اليومية والشخصية علي مستوي الحياة العادية الي مستوي النظم والابنية الاجتماعية . ويحتل مفهوم الممارسة مكانة جوهرية في فكر جيدنز. ويشير الي ضروب السلوك والتفاعل التي تنتجها الفاعلون الاجتماعيون وهو يكشف عن الطريقة التي تتشكل بها الحياة الاجتماعية . ويشير جيدنز الي ان من الممارسات الاجتماعية يمكننا من ان نهتم بالطريقة التي تشكل بها المجتمع ، ويري ان المجتمع تحلل ويعاد انتاجيته من خلال فرد واحد او من خلال المشاركين في كل موقف اجتماعي .[1]

يقول جيدنز " تدفع ضغوط العمل والحياة المنزلية الافراد باتجاه اعادة البناء المستمر للهويات الذاتية باعتبارها جزءا من مشروع انعكاسي . في ظل هذا المشروع القائم علي السيرة الذاتية بصورة لا يمكن تفاديها ، تتم الاختيارات الفردية في سياق مجموعة من المنحنيات والخيارات متولدة بواسطة نظم مجردة وترتبط الحداثة بحدوث تحول في اسلوب الحياة "وتحول في الحميمية" التي تنظم بها صلات الفرد ، وتتشكل باعتبارها علاقات صرفة ".[2]

إن ما يفسر سيطرة اللايقين المصنوع على اللايقين الخارجي عوامل تغيرية ثلاثة وهي:

1- العولمة:

لا تعني عند جيدنز التنافس الاقتصادي العالمي فقط أو ظهور الأنظمة العالمية الضخمة وإنما تعني تحولات في أعمق أعاميق نسيج الحياة اليومية أيضاً، إنها تؤثر في علاقات الصداقة والقرابة والمودة والألفة والهوية الشخصية. إن الميديا (وسائل الاتصال الجماهيرية) ملقاة في العقل البشري دون حاجة من صاحبه للالتقاء بأي إنسان في تفاعل إنساني مباشر000 ومع أن العولمة تغزوا افاق العمل الاجتماعي المحلي وتخومه إلا أنها لا تدمرها. إنها بالعكس من ذلك قد تحرض على ظهور أشكال جديدة من الاستقلال الثقافي كما قد تزيد الطلب على الهوية الثقافية الخاصة.

2- تدهور التقاليد:

---

[1] احمد زايد ، افاق جديدة في نظرية علم الاجتماع ونظرية البنية عند جيدنز ، المجلة الاجتماعية القومية ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، المجلد 33 ، العدد 2/1، يناير / مايو ،1996، القاهرة، ص 57 .

[2] جون سكوت (محرر)، خمسون عالما اجتماعيا اساسيا ، ترجمة محمود محمد حلمي ، بيروت : الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، 2009، ص 234 .

إن تدهور التقاليد لا يعني نهايتها إنه يعني أوصار يعني أويؤدي في كثير من الأحيان إلى إعادة تقويتها وشحذها وشدة الدفاع عنها وذلك بالضبط كما يرى جيدنز المصدر الأول(للأصولية) إنها تقليد يتم الدفاع عنه، منذ هجمة العولمة، بالقانون التقليدي. إن النقطة الأساسية في التقاليد احتوائها في طابع أدائي طقسي للحقيقة، الحقيقة تتمثل في أداء أو ممارسات أو رموز تقليدية معينة، يجب علينا إذن أن لا نفاجأ بالمناوشات ومعارك كسر العظم المحتدمة اليوم بين التقاليد وأساليب الحياة المفتوحة أي المتحررة من التقليد .

إن تدهور التقاليد مرتبط تماماً بنهاية أو انتهاء الطبيعة، وغالباً ما يتداخل تدهور التقاليد مع نهاية الطبيعة، إن الطبيعة تختفي كل يوم بمقدار، بمعنى أن الأشياء الثابتة من العالم المادي المحيط بنا وبجسم كل منا غير المتأثرة بالتدخل الإنساني قليلة جداً، كانت الطبيعة والتقاليد مجالين أو ميدانين للنشاط الإنساني، أي أن التغيير فيهما كان غير ملحوظ وبتلاشي الطبيعة والتقاليد فإن جملة من القرارات الجديدة يجب أن تتخذ (من قبل جهة ما) في مجالات لم تكن تتخذ فيها أية قرارات .

لنأخذ الانجاب مثال على ذلك: لطالما بقيت أمور عديدة من الإنجاب خارج نطاق قرارات الإنسان، لكنها أصبحت الآن من حيث المبدأ أو الواقع مطروقة أو مطواعة لقراراته. إنه يمكن للمرء أن يحصل على طفل دون أي اتصال جنسي، كما يمكن اختيار جنس المولود وإجراء التعقيم ضد الحمل للرجال والنساء على حد سواء، إذن فقد أصبح القرار أن يكون للمرء طفل أولا يكون مختلفاً تماماً عما كان عليه الأمر عندما كان الحمل عملية طبيعية. ومتكاملة نهاية الطبيعة في مجال الإنجاب مع التغيرات الناجمة عن تدهور التقاليد، فقد رافق انخفاض معدل المواليد في الأقطار المتقدمة سلسلة من التغيرات ساعدت على نيل المرأة استقلالها وكذلك تغير العلاقات التقليدية بين الجنسين.

3-الانعكاسية الاجتماعية:

وهي مرتبطة بعولمة الاتصالات وفوريتها أو ناجمة عنهما. تعني الانعكاسية الاجتماعية العيش في نظام اجتماعي تتدهور تقاليده وتتلاشى. لقد صار على كل إنسان يعيش في نظام كهذا مواجهة هذا النظام والتعامل مع مصادر المعلومات والمعرفة المتعددة منه، بما في ذلك الادعاءات المعرفية اليومية الشرذمة أو المشكوك بصحتها . لقد صار على كل إنسان اليوم وعلى نحو أواخر، التأمل أو التفكير في أحوال حياته وظروفها كوسيلة للحياة أو للنجاة. فقرار الزواج يتخذ وسط صخب معلوماتي في العلاقات والالتزام، وتغير طبيعة الجنس، والعلاقات بين الجنسين، ومؤسسة الزواج نفسها. وليست المعلومات أو المعرفة هذه مجرد خلفية لقرار الزواج المطلوب اتخاذه، وإنما عنصر من عناصر تكوين الإنسان بيئة

العقل الذي تعصف به، والقرار الذي يتخذ فيه ، إنها بيئة اجتماعية انعكاسية ذات فوائد جديدة، وأشكال من الاستقلال متزايدة ولكن ذات مشكلات ومقلقات كثيرة ومعقدة أيضاً.

في اطار هذه الرؤية النظرية قدم جيدنز مفهومه عن الاسرة ، خاصة رؤيته لمفهوم العلاقات الاسرية الحميمة ، وعلاقاتها بالتحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الجارية . ويؤكد علي ان النظم الجديدة خاصة نظام السوق قد غيرت طبيعة الصداقة وحيث ان النظم الادارية لها مسارات روتينية (لا شخصية) فان العلاقات المبنية علي الاخلاص والثقة تصبح جزءا اساسيا من الحياة الحديثة . ويري جيدنز ان العلاقات الشخصية ليست مستبعدة من المجتمع المدني بالمعني السوسيولوجي ،ولكنها تربط النظم المجردة علي مستوي العالم بالحياة الشخصية . ويفسر هذا علي انه تحولا للعلاقات الحميمة [1].

ويري جيدنز انه يجب الا ننظر الي التغيرات التي طرات علي الحياة الاسرية من جانب التغيرات الاقتصادية في طبيعة العمل . وانما بالنظر الي التغيرات الايديولوجية التي صاحبتها . فالتحول من المجتمع التقليدي الي المجتمع الحديث فرغ العقل وانفصل النشاطين الجنسي والتناسلي عن فكرة علاقة الحب الرومانسي، والسيطرة المتزايدة من النساء علي عالم الشئون المنزلية وتربية الابناء ، ويوصف ذلك بانه منشأ الحب الرومانسي ،او العلاقات المتغيرة بين الاباء والابناء [2] . ويذهب جيدنز ان التغير في العلاقات العاطفية بين الرجال والنساء تتمثل في الحياة الخاصة قد تغيرت . لقد مهدت النساء الطريق لنوع من التوسع في مجال العلاقات الحميمة باعتبارهن حاملات لواء الثورة العاطفية. ان التغيرات المادية سمحت للنساء ان يرسخن دعائم مطالبتهن بالمساواة .

في النهاية ، يعد العرض لهذه المداخل ومدي تركيزها علي النظرة الخاصة للخلافات الاسرية دليل علي ربط هذه الآراء بالسياق الاجتماعي والثقافي . قدمت الوظيفية الخلافات في صورة مثالية ،وعلي هيئة فترات ذهابا وايابا وكأنها نوع من التوقعات متبادلة بين الناس بوصفهم اعضاء داخل اسرة واحدة ،وفي حالة العجز علي الاستجابة لمثل هذه التوقعات تنتج المشكلات والخلافات . وذهبت نظرية الصراع الي ابعد من ذلك حيث فسرت الخلافات الاسرية الي طبيعة البشر الانانية في الرغبة في الامتلاك بأنواع مختلفة قد تصل الي استغلال بسبب وجود المجتمع الغير متسامح ، القائم علي المظالم لا علي المساواة .

ركزت التفاعلية الرمزية علي اساليب التنشئة الاجتماعية وخاصة المبكرة في الاسرة والتراكم الثقافي في تعلم الزوجين كيفية تجاوز المشكلات ،علي عكس النظريات التبادلية او العقلانية التي رجحت الخلافات الي دوافع الفعل لدي اطراف العلاقة ،وحساب الاستمرار في

---

[1] A.Giddenis, The consequences of modernity, Cambridge: Polity Press, 1990, p.55.

[2] Ibid., p.75.

الخلاف او التوقف وفقا للمكسب والخسارة ،وتاني التطورية لتري ان الخلافات الاسرية تعبير صريح علي عجز في بلورة حياتنا بالطريقة السليمة او التوافق مع مستجدات العصر . وقد غزت هذه المدرسة كافة الكتابات العربية عن الخلافات كما اشار بهذا الطاهر لبيب ان المدخل التنموي :" تخترق معظم الدراسات العربية حول موضوع الأسرة، وتجد مرتكزها الأساسي" في رصد المراحل "التي مرت أو تمر بها الأسرة في صيرورة خطية للتحول بطريقة تجعل تلك المراحل إطارا مرجعيا لا غنى عنه .التطور من القبيلة إلى الأسرة مرورا بالعشيرة، أو من العائلة الممتدة إلى الأسرة النووية[1].

وعلي هذا تعتمد الدراسة علي الرؤية التطورية كمدخل اساي للدراسة ،حيث تشير الي ان قضية الخلافات الاسرية نتاج لعدم مواكبة التطور سواء الاجتماعي او الاقتصادي والسياسي ،من ناحية ، وعجز هذه التطورات عن التفاعل مع القيم الاجتماعية وتأثيرها علي نمط الاسرة الحالي وبنائها وطبيعة العلاقات فيها . واندرج هذا التطور ضمن معادلة الصراع بين التقليد والتحديث ، كمدخل ليفسر الاوضاع الحالية للأسرة العربية اليوم .

نتيجة لذلك، ان هذا التطور كان القاعدة لظهور الانتقال من الجماعية الي الفردية ،وتغير في مراكز التنشئة الاجتماعية ،والتعرض لقيم الثقافة الغربية ،وتغير في فكرة الطاعة ، ادت الي اشكال اقل وطأة من طاعة المرأة للرجل ومن طاعة الصغار للكبار . هذه الاحوال والخلافات الاسرية انعكاس لما فرضته الحالة الكونية المعاصرة التي عمقت بروز الخلافات الجديدة وظهور الطارئة منها ،استدعي تدخل الدولة عبر تنظيماتها وادارتها ومن بينها ادارة الاستشارات الاسرية كمستودع تقليدي وحديث للقيم الاجتماعية ،ومصدر لتحقيق التجانس البنيوي بين البناء القديم والحديث للأسرة الكويتية . مما سبق يتضح ان الخلافات الاسرية ظاهرة اجتماعية بكل المقاييس ، لأنها مظهر من مظاهر التفكك الاسري الذي يعد بعدا سلوكيا واجتماعيا ، وان كانت ظاهرة ضرورية تؤدي وظيفة اجتماعية تدفع مؤسسات المجتمع الي اليقظة والانتباه الا ان في حالة زيادتها ستؤدي الي اثار سلبية اجتماعية ونفسية علي الزوجين والابناء والمجتمع .

وهكذا نري ان الاسرة كانت بؤرة لعديد من التغيرات الاجتماعية العميقة التي المت بها في نفس الوقت ، ولكنها تغيرات كانت متشبعة بقيم مستمدة من انماط سابقة من التنظيم الاسري . ولعل هذا ما جعل المدخل التطوري المدخل النظري للدراسة وخاصة مع ظهور مصطلحات جدية قدمها جيدنز في معرض حديثة عن التطورات الاسرية وخاصة العيش بانعزالية عن باقي افراد الاسرة ، ومصطلح الابوة البديلة الذي يعادل الخلافات والنزاعات

[1] الطاهر لبيب ، الاسرة العربية : مقاربات نظرية ، المستقبل العربي، العدد 308، اكتوبر 2004، ص 92 .

الاسرية او الزواج المحطم او الاسرة المفككة ،وكلها تغيرات تطورية تعبر عن دلالات سلبية في حياة الاسرة الحديثة [1] .

ولا يجب ان ينظر البحث الي الادارة علي انها ابتكارا اجتماعيا يستخدم للخروج من التوترات الاجتماعية والخلافات الاسرية الناجمة عن الزواج ،ولكنها تعبر عن رؤية مجتمعية ثقافية واجتماعية ترصد الظروف التي من خلالها تحدث الخلافات سواء في سوء الاختيار ،غياب التفاهم ،الازمات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي تواجه الاسرة . اضافة الي تعرض الحياة للضغوط والتوترات لا تنتهي ابدا ، وايضا التغيرات المحتملة في خروج المراة للعمل وتقسيم العمل والحياة الحديثة ،وتغير القوانين لصالح احد افراد الاسرة علي حساب الاخرين . ان مثل هذه التغيرات الاجتماعية الجماعية ترتبط بعوامل ذاتية يرجع الي العوامل الثقافية والديموجرافية والاختلافات العمرية والتعليمية ،والتوترات الداخلية وكيف يواجه الزوجان الخلافات الاسرية ،وهذا هو موضوع لدراسة ميدانية سوف تأتي لاحقا.

[1] انتوني جيدنز ، مقدمة نقدية في علم الاجتماع ، ترجمة احمد زايد واخرون ، القاهرة : مركز البحوث بجامعة القاهرة ، 2007، ص 184.